

# سلسلة الخلافة في

الخلافة كما هو معروف ضرب من الملك خاص بالاسلام ،  
لم تعرفه الأمم السابقة عليه • وهي من قبيل الملكية المطلقة ،  
ولكنها تمتاز بانها تشمل السلطتين الدينية والدنيوية • على ان  
للخلافة أربعة شروط يجب توافرها في الخليفة ، وهي العلم  
والعدالة والكفاية وسلامة العواس • وقد اختلف المسلمون في  
شروط خامس هو النسب القرشي ، اي ان الخلافة لا تقوم الا في  
قبيلة قريش •

وقد انفردت الخلافة الاسلامية بعلامات وشارات ميزتها عن باقي نظم الحكم  
الآخرى التي عرفها العالم القديم والوسيط • على ان تلك الشارات لم تكن حادنا  
عرضيا او سطحيا كما يبدو من اسمها ، بل هي في الواقع سيمات وظواهر لعبت  
دورا خطيرا في تاريخ الخلافة الاسلامية من الناحية السياسية والاقتصادية والفنية •  
وقد رأيت أن أخصص هذا المقال لشارات الخلافة دون العلامات • وقد كانت  
شارات الخلافة ثلاث ، الخليفة والسكة والطراز •

# الفن الإسلامي

بقلم الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر

عميدة كلية الآثار بجامعة القاهرة

أما عن الخطبة ، فالمقصود بها الدعاء للخليفة على المنابر في صلاة الجمعة ، فقد كان من عادة الخلفاء الراشدين أن يتولوا إمامة الصلاة بأنفسهم بالمسجد النبوي وكانوا يهتمونها بالدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم . فلما كثرت الفتوحات الإسلامية واتسعت رقعة الدولة صارت كل قبيلة تقيم لها مسجدا خاصا تؤدي فيها صلاة الجمعة مما كاد يؤدي بوحدة الدولة وينذر بتقطيع أوصالها . فلما علم بذلك عمر بن الخطاب غشي غيرة هذه الفرقة بين القبائل العربية التي ذهبت لنشر الدعوة وفتح الأمصار كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة . وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك أيضا ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده ، وكانت صلاة الجمعة تؤدي في المسجد الجامع .

وهكذا أضحي عمال وولاة الولايات يتولون إمامة الصلاة في ولايتهم ، فكانوا إذا صلوا غتموا الصلاة بالدعاء للخليفة ، وكان أول من فعل ذلك منهم عبدالله بن

عباس الذي تولى امانة البصرة على عهد الخليفة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، اذ قال : « اللهم انصر عليا » واتصل العمل على ذلك فيما بعد . وصار الدعام للخليفة علامة سلطانه عليهم ، وحذف اسمه علامة خلع من الخلافة . وقد اصبح للجامع مدلول سياسي في عهد الدولة الاموية . فقد عرف بالجامع ، المسجد الذي يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه المسلمين في صلاة الجمعة ، أي لفظ الجامع أصبح يطلق على مسجد الدولة الرسمي الذي كان يعرف باسم المسجد الجامع .

مما تقدم يتبين لنا ان المسجد هو مكان صلاة القبيلة أما الجامع فهو المكان الرسمي لصلاة الجمعة حيث يلقي الخليفة أو من ينوب عنه في القاء خطبة الجمعة . ومن ثم فقد تحتم أن يكون بالجامع منبر لارتباطه الوثيق بالقاء الخطبة ، بل وأصبح من أهم مقومات الجامع الأساسية ، أما المسجد فلا يجوز أن يحتوي على منبر .

أما عن تاريخ المنبر في الاسلام فيرجع الى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تعددت الروايات في السيرة العطرة ، وتضاربت الاقوال في سبب اتخاذ الرسول للمنبر لعل أرجحها ، ما ذكره ابن سعد في الطبقات والترمذي في المواهب الدينية على السائل المحمدية وكذا المسعودي في وفاء الوفا ، وملخصها أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذا خطب وأطال كان يشق عليه ذلك ، اذ كان يشكو من مرض في فخذيه ، فكان يستند الى جذع النخل ، المتخذ منه أعمدة المسجد ، فبصر به رجل ، كان قد ورد الى المدينة فراء قائما الى الجذع ، فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمدا يحمده في شيء لصنعت له مجلسا يقوم عليه فان شاء جلس ما شاء وان شاء قام . « فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتوني به ، فاتوه به فأمره أن يصنع له هذه المراقي الثلاث فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك راحة له .

أما عن النجار الذي صنع منبر الرسول ، فقد اختلف المؤرخون في اسمه وجنسيته ، فقول انه رجل رومي الأصل أتى الى الرسول وطلب منه في رفق أن يصنع له منبرا يخطب عليه وقيل انه قبضي من مصر واسمه يقطر وأنه قريب لزوجته ( ماري ) وأمه ولده ابراهيم . وفي رواية ثالثة أن تعميم الداري الذي ينتسب الى قبيلة لغم من أهل فلسطين ورواية رابعة أن صانع المنبر نجار كان بالمدينة اسمه ميمون وذلك في السنة السابعة للهجرة وان المنبر كان من خشب الاثل .

وتكاد تجمع المراجع على أن المنبر كان يحتوي على ثلاث درجات وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجلس على المنبر على الدرجة العليا التي عرفت باسم المستراج ويضع رجله على الدرجة الثانية ، فلما ولي أبو بكر الصديق قام على الدرجة الثانية ووضع قدميه على الدرجة السفلى ، فلما ولي عمر بن الخطاب قام على الدرجة السفلى ووضع قدميه على الأرض إذا جلس ، فلما ولي عثمان بن عفان ، فعل ذلك ست سنوات من خلافته ثم إلى موضع النبي صلى الله عليه وسلم . واستمر منبر الرسول على حاله حتى تولى معاوية الخلافة فزاد فيه ست درجات وأصبح بذلك يتكون من تسع درجات ، وكان ينوي في نفس الوقت نقله إلى الشام ، فلما أظهر أهل المدينة امتعاضهم وعدم ارتياحهم إلى نقله ، عدل عن فكرته . وقد عاودت فكرة نقله إلى الشام الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد وكذا سليمان ولكنهم سرعان ما عدلوا عن رغبتهم . وكان للمنبر مسند مكون من ثلاثة أمواد فقدت أحدها سنة ثمان وتسعين ومائة ، كما كانت له رمانتان يمسكها الرسول بيديه إذا جلس . ويحدثنا ابن زباله عن إبعاده فيقول : وطول منبر الرسول خاصة ذراعان في السماء أي ( ١٠٤ ) وعرضه ذراع في ذراع وتربيمه سواء ( أي ٥٢ × ٥٢ سم ) .

وقد توالى يد التجديد والترميم لهذا المنبر في العصر العباسي حتى صار كما وصفه لنا ابن جبير الذي زار المدينة المنورة سنة ٥٧٨ هـ ، ارتفاعه من الأرض يتراوح نحو القامة أو يزيد وأن له ثمان درجات وله باب على هيئة شبك ، وأن المنبر منطى بطبقة من خشب الينوس وأن مقعد الرسول صلى الله عليه وسلم قد سمر عليه لوح من الينوس ليصونه من الجلوس عليه ، وأن الناس كانوا يتسابقون إلى مس هذا المقعد بأيديهم للتبرك به ، ويتم لنا السهوذي تاريخ منبر الرسول فيقول أنه احترق أثناء حريق المسجد سنة ٦٥٤ هـ ثم توالى إرسال المنابر إلى الحرم النبوي ، فقد أرسل السلطان الظاهر بيبرس منبرا آخر استمر حتى سنة ٧٩٧ هـ فلما بلي أحضر بدله السلطان الظاهر برقوق . وفي سنة ٨٢٢ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ منبرا جديدا قيل أنه كان من صناعة الشام ظل مستعملا حتى أرسل السلطان قايتباي في نهاية القرن التاسع للهجرة منبرا جديدا ما يزال موجودا بالمسجد النبوي حتى الآن .

وقد حذت الممالك والامصار حذو مسجد الرسول صلوات الله عليه في انشاء

المنابر . فقد استحدثت المنابر في مساجد مصر منذ عهد عمرو بن العاص وفي خلافة عمر بن الخطاب ثم انتشرت في قرى مصر في عهد الوالي عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي من قبل آخر خلفاء الدولة الأيوبية مروان بن محمد ، الذي أمر باتخاذ المنابر في الكور . بعد أن كان الخطيب في قرى مصر يجلس متكئا على عصا بجانب القبلة .

كذلك اتخذت المنابر بمساجد الكوفة والبصرة وغيرهما من مدن العراق . كما وجدت المنابر في أجناد الشام . ويقال ان المنابر الأولى كانت كلها على غرار منبر الرسول صلوات الله عليه أي أنها تتكون من ثلاث درجات فقط . أما مكة المكرمة فإن أول من أوجد المنبر في مسجدها معاوية بن أبي سفيان ظل باقيا فيها حتى جاء هارون الرشيد فأحضر معه منبرا جديدا من تسع درجات وأخذ المنبر القديم وجعله بعرفة . وفي بلاد إفريقية والمغرب فقد وجد المنبر بجامع سوسة والقيروان . وإن كانت منابرها متنقلة ، أي أنها تحفظ طوال أيام الأسبوع في قاعة صغيرة بجوار المحراب ولا يخرج منها الا في أيام الجمع والأعياد . ويقال ان العجاج هو الذي ابتدع فكرة المعاريب المتنقلة .

وكانت المنابر الأولى في الاسلام . وخاصة بمصر كبيرة بحيث كانت ترفع صفوف المصلين حتى كان عهد الخليفة العباسي المهدي بن أبي جعفر المنصور سنة ١٦١ هـ فأمر بتصغيرها بحيث تصبح في حجم منبر الرسول .

وكان من الطبيعي بعد أن تعددت المنابر في العالم الاسلامي وزاد الاقبال على اتخاذها في المساجد الجامعة لاتصالها الوثيق بأحدى شارات الخلافة الهامة ألا وهي الخطبة . أن تصبح موضع عناية ورعاية صناع الخشب . فقد تصافرت الجهود الفنية والزخرفية في احراج اشابر في صورة تليق ومكانتها الدينية والسياسية . فقد صنعت من أجود أنواع الخشب من الساج الهندي وخشب الأرز ولطعت بالعاج والصدف والابنوس وحليت بالفضة والذهب .

أما من حيث الاسلوب الصاعسي والزخرفي فقد كانت تتبع الاسلوب العام السائد في الفترة الزمنية التي صنعت بها وأخذت تتطور بتطور صناعة وزخرفة الاحشاش التي سادت في العالم الاسلامي .

ولعل من احسن الأمثلة التي تمثل أقدم المناير التي ما تزال باقية حتى الآن والتي تحتوي على تاريخ منبر جامع تلمسان ، الذي ما يزال يحتفظ بلوحته التأسيسية التي جاء بها « هذا ما أمر به الامام ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة » وللأسف فان المنبر القديم لم يبق منه الا اللوحة التذكارية فقط . ومن الأمثلة الغير كاملة ايضا للمناير الاولى قطع خشبية مزخرفة يظن انها من منبر تكريت وهي محفوظة بمتحف المتروبوليتان بالولايات المتحدة على ان أهم وأقدم منبر قائم وكامل هو منبر جامع القيروان الذي يرجع الى سنة ٢٤٨ هـ ( انظر شكل (١) ، (٢) ، (٣) ) .

واعتمادا على القطع السابق الاشارة اليها وكذا منبر جامع القيروان ، نستطيع القول بأن أسلوبها الزخرفي يشبه أسلوب الزخارف التي وجدت في العصر الأموي وأوائل العصر العباسي . ومن المعروف ان الفن الاسلامي قام على أسس من فنون البلاد التي فتحها المسلمون أو خضعت للحكم الاسلامي ونمى بها الدولة الساسانية والدولة البيزنطية والفن القبطي في مصر . على ان الفاتح العربي لم يقبل فنون تلك البلاد على علاتها ، بل أخذ منها العناصر والأساليب التي توافقت مزاجه والتي لا تتعارض وعقيدته الاسلامية . ثم مزج كل العناصر التي جمعها من جميع أنحاء الدولة الاسلامية في بوتقة واحدة وأخرج منها في النهاية فنا اسلاميا متميزا بعد ان أضاف اليه من عنده الغط العربي كعنصر زخرفي . وقد استغرقت هذه العملية من جمع واستبعاد ومزج ثلاثة قرون تقريبا أصبح للفن الاسلامي قوامه الخاص الذي تكاد لا تخطئه العين .

وقد امتازت المناير الاولى في الاسلام التي ما تزال باقية حتى الآن ، والسابق الاشارة اليها بزخارفها التي تجمع بين العناصر الساسانية والبيزنطية والتي عرفت فنيا باسم الاسلوب الهلنستي وان كانت قد اقتصرحت على الزخارف النباتية والهندسية فقط . أما منبر جامع القيروان والذي يرجع الى سنة ٢٤٨ هـ فقد ظهر به أسلوب سامراء الزخرفي الذي تميز بالاسلوب التجريدي المحور والذي أطلق علماء الفنون اسم ( ارابيسك ) نسبة الى ان العرب هم اول من ابتدعه وأكثر من استخدمه .

وقد تطورت صناعة المنابر وزخرفتها بتطور الفن الاسلامي ، ففي القرن الخامس للهجرة اصبحت جوانب المنبر ( ريشية ) تصنع بطريقة العشوات المجمة وهي ارقى ما وصل اليه فن زخرفة الاخشاب حتى الآن . كما ثلاث الزخارف النباتية المجسدة والمحورة واصبح قوامها الشكل النجمي المعروف باسم الطبق النجمي الذي رصع وطعم بالمعاج والصدف والابنوس . ويعتبر منبر حرم الخليل بفلسطين الذي صنع من اجل جامع الامام الحسين بن علي بمقتلان سنة ٤٨٤ هـ ، والذي نقل الى حرم الخليل بعد نقل رأس الحسين رضوان الله عليه الى مصر في عهد الدولة الفاطمية ، من احسن واجمل واقدم الأمثلة لزخرفة المنابر بطريقة العشوات المجمة وخشب الغرط . . انظر شكل (٤) . (٥) .

ومن شارات الخلافة بل وشارات الملك على الاطلاق السكة وهي الغتم على النقود بطابع من حديد ينقش فيه اسم الخليفة أو السلطان وهي لازمة للدولة . ومن المعروف انه لم يكن للعرب قبل الاسلام نقود خاصة بهم ، بل كانوا يتعاملون بالدرهم الساسانية وهي من الفضة والدنانير البيزنطية وهي من الذهب ، وكانوا يمبرون عن الذهب بالعين وعن الفضة بالورق . على أن مرجع هذه النقود انما هو الوزن ، فكانوا يتبايعون بالدنانير على انها ( تبر ) لأن المراد بالدينار قطعة من الذهب وزنها مثقال ، والمراد بالدرهم قطعة من الفضة وزنها ( وائي ) . وقد اقر الرسول صلوات الله عليه هذه النقود وظل التعامل بها وكذا سار بسنته أبو بكر وعمر ، فيذكر المقرئزي أن عمر بن الخطاب ضرب سنة ١٨ هـ الدرهم على نقش الكسروية وشكلها وأعيانها ( صورها ولكنه زاد عليها عبارة الحمد لله . وفي بعضها محمد رسول الله . وفي البعض الآخر لا اله الا الله وحده ) . وفي عهد عثمان بن عفان ضربت دراهم سنة ٢٨ هـ في قصبة هرتك طبرستان نقش على دائرها بالخط الكوفي . بسم الله ربي . . وضرب في عهد علي بن أبي طالب دراهم سنة ٣٨ هـ على دائرته هذه العبارة أيضا . وفي فترة النزاع بين يزيد ابن معاوية وبين عبدالله بن الزبير ، ضرب درهم في يزد سنة ٦١ هـ نقش على دائرته « عبدالله بن الزبير أمير المؤمنين » بخط بهلوي .

على أن تلك السكوكات لم تكن نقودا رسمية للدولة الاسلامية إذ كانت أكثر معاملاتهم بالنقود الفارسية والبيزنطية حتى كان عهد الملك بن مروان حيث تم

اصلاح النقود العربية وتمريضها - أسما عن السبب الذي سن أجله تم اصلاح وتمريض فتجمع المراجع العربية الدميري في الحيوان والبلاذري في فتوح البلدان والمقريزي في شذور العقود وأبو المعانس في النجوم الزاهرة على الرواية التالية - ان الخليفة عبد الملك ابن مروان أراد تغيير الطراز من الرومية الى العربية ، كما سنفصله في الطراز ، فشق ذلك على ملك الروم جستنيان الثاني فبعث اليه يتهدهه بأن ينقش على الدنانير البيزنطية التي ترد الى الشرق العربي عبارات شتم في النبي ، فعظم ذلك على عبد الملك ، فجمع اليه كبار المسلمين واستشارهم فأشار عليه احدهم بمحمد الباقر أحد الأئمة الاثني عشر من أئمة الشيعة ، وكان يقيم بالمدينة - فعظم على عبد الملك أن يستنجد أحد أئمة بني هاشم وهم مناظروه في الملك ولكنه لم ير بدا من استقدامه فكتب الي عامله في المدينة ان - أشخص الي محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه و ٣٠ ألف لتفكته وادح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه سن أصحابه - فلما قدم محمد الى دمشق استشاره



متبر حرم الخليل بفلسطين ٤٨٤ هـ



عبد الملك في ما يتوهم ملك الروم من الاساءة بالاسلام فقال محمد « لا يعظم هذا عليك ، ادع في هذه الساعة صناعا فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحدهما في وجه العملة والآخر في الوجه الثاني ، وتجعل في مدار العملة ذكر البلد الذي تضرب فيها الدراهم والدنانير - وتعمد الى وزن ثلاثين درهما هدا من الاصناف الثلاثة التي وزن العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا احدى وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فتصير العملة من الجميع وزن سبعة مثاقيل - كما تصب صنجات من قواريير ( زجاج ) لا تستعمل الى زيادة ولا نقصان ، فتضرب الدراهم على وزن عشرة دنانير على وزن سبعة مثاقيل - \*  
فعمل بهذه المشورة عبد الملك وبعث نقوده الى جميع أنحاء العالم الاسلامي وتقدم الى الناس في التعامل بها وتهدد بالقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير - وهكذا أصبحت السكة شارة أساسية من شارات الخلافة - وأبطل المسلمون استخدام النقود الرومية والفارسية منذ ذلك الحين »

أما عن شكل نقود عبد الملك ، فقد نقش على الوجه في الوسط « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وحوله في الطوق « بسم الله ضرب هذا الدرهم في بلد كذا سنة كذا » - وفي الظهر في الوسط « الله احد الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وحوله في الطوق « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » -

أما من الناحية الفنية ، فقد تطور أسلوب الكتابة العربية على النقود الاسلامية ، بحيث كان لكل عاصمة من عواصم العالم الاسلامي التي ضربت فيها نقود أسلوب معين من الخط الكوفي الذي كان سائدا في العملة ، والذي ظل مستعملا حتى سنة ٦٢١ هـ ثم استعمل الخط النسخي وذلك في عهد العزيز محمد بن صلاح الدين الأيوبي بمصر والشام \*

والشارة الثالثة من شارات الخلافة الطراز ، وكان لفظ الطراز يعني في أول أمره الكتابة الزخرفية التي توجد على الأقمشة ، وهو لفظ أعجمي مأخوذ من كلمة « طرازيدين » ومعناها التطريز واذن فالمعنى الأصلي لكلمة الطراز هو التطريز ثم اتسع مدلولها فأصبحت تستعمل للكتابة على الورق والنسيج -

وقد كانت هذه الكتابة تقتضيها عادة الخلع التي كانت متبعة في الخلافة الاسلامية ولأنها أصبحت شارة من شارات الخلافة .

ولقد اجمع علماء الآثار اعتمادا على ما ورد في المراجع التاريخية وما عثروا عليه من الآثار المادية على أن مصانع الطراز في العصر الاسلامي نشأت في عهد الدولة الأموية وظل نظام الطراز معمولا به الى آخر العصر الفاطمي . أما في العصر الأيوبي فلم نجد لها أثرا . تتساءل في عهد من من الخلفاء ظهرت مصانع الطراز ؟

أما عن نشأة الطراز في العصر الاسلامي فيقول ابن عبد ربه في العقد الفريد « قال هشام بن الحسن رأيت على حسن البصري قميصا بعافته علامة وكان يصلي به أهداء له مسلمة بن عبد الملك » . وهذا النص جدير بالاهتمام - لأن الملابس التي عليها طراز ( أي كتابة ) كانت توصف بالمعلم .

ويذكر المسعودي انه كان يوجد في عهد سليمان بن عبد الملك مصانع للطراز . وذكر أبو الفرج الاسفهانى : « ان الوليد الثاني كان يلبس ملابس بيضاء تتكون من ثياب الخلافة ويصلي بها » . والتعبير « ثياب الخلافة » كان يطلق على الثياب التي عليها شريط من الكتابة وهي شارة من شارات الخلافة .

وذكر ابن الأثير : « انه في سنة ٢٦٩ هـ لعن الخليفة المعتمد ابن طولون في دار العامة وأمر أن يلعن كذلك على المنابر لأن ابن طولون امتنع عن ذكر الموفق ( أخو الخليفة ) في خطبة الجمعة وحذف اسمه من الطراز » . كما ذكر « ان الخليفة المعتمد أشهد الأمراء على أن المعتضد بالله ابن الموفق يتولى الخلافة وان يحرم ابنه وان يحذف اسمه من الفعلة والصلاة وكتابة الطراز » . ومن هذا النص يمكننا أن نتبين أهمية الطراز كشارة من شارات الملك .

وذكر المسعودي ان هشاما كان مولعا بالكساء والفرش وفي أيامه كان يصنع الحرير المرقوم أي الحرير الذي يحتوي كتابات وذكر ابن عبد ربه ذلك أيضا .

أما عن السبب الذي من أجله اتخذ الطراز ( أي الكتابة على النسيج والورق ) كشارة من شارات الخلافة فيقول البيهقي الذي عاش في عصر الخليفة المعتمد ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ يروي الكاساني : « دخلت مرة في حضرة الرشيد وكان جالسا في

الايوان وأمامه مبلغ كبير من نقود موزعة في أكياس ، كل كيس به ألف درهم ، وكان بيده درهم عليه كتابات ذات بريق وسألني : « هل تعرف من الذي أنشأ الكتابة على الذهب والفضة ؟ فقلت « عبد الملك بن مروان » سأقول لك : ان القرماس ينتمي للاغريق ومعظم المصريين مسيحيون يتبعون ديانة الامبراطور الاغريقي ، وطرازة القرماس كانت بالطراز الاغريقي : « الأب الابن الروح القدس » . وقد استمرت كذلك في أوائل العصر الاسلامي حتى عهد عبد الملك ، فاستاء من هذه الكتابة على الورق وهي تحمل في الثياب والأواني التي تصنع بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها . وعلى ذلك فقد أمر بإرسال خطاب الى عبد العزيز بن مروان والي مصر وأمره بإلغاء الطراز من على الملابس والورق والستور . وأمره أن تكون الاختتام التي يستعملها الصناع على الورق : « الله يعلم ان لا اله الا الله وحده » . هذا هو طراز الورق خاصة الى هذا الوقت ، كما أرسل الى كل حكام الولايات بإلغاء الكتابات الاغريقية ومعاقبة كل من يخالف ذلك بالضرب الجوع والحبس العلويل » .

ومن ثم فقد تحتم على الدولة الاسلامية ان تنشئ للطراز دورا ( مصانع ) في قصورهم عرفت باسم ( دار الطراز ) لنسج أثوابهم وعليها شريط الطراز كشارة من شارات الخلافة وقد وجد في الدولة الاسلامية نوعان من دور الطراز . ( طراز الخاصة ) و ( طراز العامة ) وكان شريط الطراز يتكون من التسمية ثم الدعاء للخليفة ثم يجيء اسم الخليفة واسم المشرف على مصانع الطراز ثم مكان الصناعة وتاريخها . وكان القائم على دور الطراز يسمى ( صاحب الطراز ) وكانت وظيفته النظر في آلات النسيج وأمور الصناع وما يجري عليهم من الأرزاق كما كان عليه ان يختم بخاتم الخلافة ما يصدر من دور الطراز الى خارج البلاد . وكان الخلفاء يقدون أعمال هذه الدور الخاصة دولتهم من التفات وزراعتهم ومواليهم . اذ كان في يدهم خلع الخليفة بمجرد حذف اسمه من شريط الطراز ووضع اسم آخر بدلا منه .

ولعل من أكثر الشارات تأثيرا على الفن الاسلامي هي شارة الطراز . فلقد كان لصدور الأوامر الصارمة باتخاذ شريط الطراز على ما تنتجه مصانع النسيج أكبر الأثر على الزخارف الاسلامية عامة والنسيج بصفة خاصة . والطراز ، كما سبق القول ، شريط من العربية .

واذا كانت الدولة الاسلامية قد أصدرت أوامرها باتخاذ شريط الطراز كشارة من شارات الخلافة ، الا انها تركت للنساج الحرية في نقش ما يريد من أنواع الزخارف مصاحبا لشريط الطراز . ولما كان الطراز شريطا من الكتابة العربية ، التي لا يمكن قراءتها الا اذا كانت في وضع مستعرض ، فقد كان على الزخارف المصاحبة لهذا الشريط من نباتية أو هندسية أو حيوانية أن تكون هي الأخرى في وضع مستعرض والا أصبح الشكل الزخرفي العام غير مستساغ أو مقبول .

وهكذا أصبح حصر الزخارف في اشربة عرضية على المنسوجات وغيرها من المواد من أهم سميات الزخرفة الاسلامية . وقد ظلت الزخارف المستعرضة هي الطابع العام للمنسوجات الاسلامية طوال عهد الخلافة العباسية في المشرق والفاطمية في مصر والشام والأماوية في الأندلس فلما زالت الخلافة من العالم الاسلامي وحل محلها سلاطين الفول والماليك والفرنجة ولم يعد الطراز شارة من شارات الملك ، وفي تحرر النساج من قيودها ، اختفت الزخارف المحصورة في اشربة عرضية وأصبحت تنشر في النسيج كله .

واتخاذ الطراز على النسيج قرابة سبعة قرون تقريبا ، وكان من أهم الاسباب التي أدت الى سرعة تطور الخط العربي وزخرفته بحيث سابر ركب التطور للعناصر الزخرفية الأخرى . ومن ثم فقد أصبح الخط العربي عنصرا زخرفيا هاما من عناصر الفن الاسلامي لا نجد له مثيلا في فنون العالم القديم أو الحديث على حد سواء .

نخلص مما تقدم انه برغم ما كان لشارات الخلافة من مدلول سياسي من الدرجة الاولى اذ هي رمز سيادة الدولة ، وتأكيد تولي الخلفاء ، الا انها لعبت دورا لا يستهان به في الحياة الاجتماعية بصفة عامة والفنية منها بصفة خاصة .

# حقاً

هذه الدراسة تدور حول مدى اشتراك المصريين في صفوف الجنود الذين اشتركوا في حرب الدرعية تحت قيادة كل من طوسون بن محمد علي ثم محمد علي ثم ابراهيم \*

هنالك شبه اجماع بين المؤرخين الذين تناولوا هذه الحرب بالدراسة على أن المصريين هم الذين خاضوا هذه الحرب استناداً الى أن القوات التي حاربت في الجزيرة العربية لمدة سبع سنوات ضد القوات السعودية انما خرجت من مصر وبقيادة والي مصر وابنيه طوسون وابراهيم - فهل كانت هذه القوات من المصريين حقاً ؟

وقبل أن نتناول الاجابة على هذا السؤال من وقائع التاريخ نتساءل : اذا سيطرت قوات استعمارية على دولة من الدول ثم تحركت نفس هذه القوات من ارض تلك الدولة المغلوبة لتغزو دولة أخرى فهل تعتبر تلك الدولة المغلوبة هي المعتدية ؟